٣ـ تدوين الحديث

ـ تمهيد :

لا نستطيع أن نذهب مع بعض الدارسين إلى أن عدم التدوين الرسمي للحديث النبوي في العهد النبوي المبارك إنما كان خشية الاختلاط بين القرآن والحديث ، فالتمييز لم يكن يخفى على الصحابة رضي الله عنهم ولو كان المكتوب في صفحة واحدة .

فقد كرر بعض الباحثين[1] خوف اختلاط الأحاديث بالآيات في صحف الكاتبين ، وإمكان أن يوهم ذلك وحدة الدرجة في الحفظ زمناً وطريقاً ، وقد يعطي الحديث درجة القرآن في الحفظ فيفسد بذلك كثير من أمر العبادة ، وقد يقرأ الرجل في الصلاة الأحاديث على أنها قرآن حيث يشتبه عليه الأمر .

ولهذا نرجح أربعة أسباب لعدم التدوين :

الأول : ندرة وسائل الكتابة التي كرست لتدوين القرآن الكريم ، سواء في بيت النبوة ، أو في بيوت الصحابة على شكل صحف خاصة .

والثاني : هو انشغالهم الأكبر بالقرآن .

والثالث : تطلع النبوة إلى تمييز مرتبة الحديث من التشريع .

والرابع : عدم تضخيم حجم التشريعات المكتوبة مما قد ينفّر بعض الناس عن الإسلام .

---

(١) السنة الإسلامية ، د . شبلي ص١٦١ .

١ـ التدوين في العهد النبوي :

وقبل أن نسرد بعض النصوص المؤيدة لوجود جمع للحديث في العهد النبوي ، ينبغي أن نفرق بين الجمع والتصنيف والتدوين ، إذ فهم بعض الجهلة من الغرب أن التدوين بدأ في القرن الثاني الهجري ، وبهذا شكّكوا بالمرحلة الشفهية قبل هذا ، مع تشكيكهم بدوافع التدوين ، والتوصل إلى نتائج خبيثة تثير الريبة في المكتوب ولو كان في أصح المصنفات .

فقد ذكر جولد زيهر في كتابه « دراسات إسلامية » كثيراً من الأدلة الواهية على تدوين الحديث في أول القرن الثاني الهجري وبعض الصحف المدونة في العهد النبوي ، ليزعم بعد هذا أن السنة كانت موضع اختلاط قبل التدوين ، وأن المدونين اختلقوا بعض الأحاديث إرضاءً لأهوائهم وآرائهم ، وقد تبعه في هذا الخلط شبرنجر ، ثم أتى دوزي ليقول : إن الجرح ممكن في أحاديث البخاري لمخالفتها للحياة والكون والإنسان وفق النظرة الغربية .

فيجب أن نصحح مفهوماً خاطئاً يوحد بين الجمع والتدوين ، إذا التبس على الكثير ، وخلصوا إلى أن الحديث ظل محفوظاً في الصدور حتى كان أمر الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه .

وقد أزال العلامة المباركفوري (١٣٥٣هـ) هذا المفهوم الخاطئ وأسهب في تاريخ الكتابة منذ العصر النبوي ، ولا شك أنه أفاد من كتاب الخطيب البغدادي « تقييد العلم » الذي لم يصدق المستشرقون محتواه ، ثم جلّى هذه الحقيقة علماء أفاضل من المعاصرين .

فهناك مصطلح الكتابة أو الجمع الذي حصل منذ العهد النبوي وعصر الصحابة ، أما التدوين فهو جمع المكتوبات في صحف أو مجلدات ويكون على غير ترتيب ، وهذا ما حصل في عصر التابعين ، أما التصنيف

فهو تدوين الحديث في أبواب الموضوعات مثل الكتب الستة في عهد أتباع التابعين ، فالجمع فردي مسموح به ، أما التدوين فجماعي رسمي مأمور به من قبل الدولة .

وهكذا نقر بأن « الكتابة التي أذن بها هي التي لا تتخذ مرجعاً يتداول بين الصحابة ولذلك لم يأمر النبي ﷺ أحداً بكتابة الحديث كما أمر بكتابة القرآن وإنما أذن لأفذاذ من الصحابة بذلك ولم يكن الصحابة رضوان الله عليهم يتداولون تلك الصحف من الحديث ولم نجد في شيء من الروايات أن أحداً مثل ذلك إنما كانت تلك الصحف بين أيديهم بمنزلة المذكرات فلما انتشر علم القرآن وكثر حفاظه وقراؤه وأمن على علمه أن لا يفي بكفاية المجتمع أو أن يلتبس به غيره لدى الناس أقبلت الأمة على تدوين الحديث تدويناً اتخذ صفة العموم وتداولت صحفه المكتوبة وذلك بأوامر الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز »[1] .

وههنا سندلف مباشرة إلى إبراز بعض الدلائل التي تؤكد وجود الكتابة في العصر النبوي ، ونتبعه بعدئذ بدلائل في عصر الصحابة والتابعين وأتباعهم حتى القرن الثالث ؛ أي لن نسجل هنا أحاديث النهي عن الكتابة ؛ لأنها في الوقت ذاته تدل على وجود الكتابة بغض النظر عن ترجيح كونها منسوخة بحكم التدرج التشريعي ، ولن نذكر بعد هذا ما يقال عن كراهة الكتابة في القرن الأول والثاني لأن أغلبية العلماء يرون الكتابة ضرورة لسيرورة الدعوة ونشر العلم .

ويحسن أن نبدأ بالتنظير ثم نشفعه بالتطبيق ، أي نستهل بأحاديث نبوية حول إباحة الكتابة ، ثم نخلص إلى ما كتب في العصر النبوي على سبيل الرخصة والأمر .

---

(١) منهج النقد ، د . عتر ص/ ٤٤ .

قال عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما : كان عند رسول الله ﷺ ناسٌ من أصحابه وأنا معهم ، وأنا أصغر القوم . فقال النبي ﷺ : « من كذب علي متعمِّداً فليتبوأ مقعده من النار » فلما خرج القوم قلت : كيف تحدثون عن رسول الله ﷺ وقد سمعتم ما قال ؟! وأنتم تنهمكون في الحديث عن رسول الله ﷺ ؟ فضحكوا وقالوا : يا ابن أخينا ! إن كل ما سمعنا عنه ﷺ عندنا في الكتاب » . والشواهد على هذا كثيرة[1] .

كذلك جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، كما في سنن الدارمي وأبي داود : (كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ ، أريد أن أحفظه فنهتني قريش ، وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ، فأمسكتُ عن الكتابة ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأومأ « بإصبعه إلى فيه ، وقال : اكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق » .

وذلك لما عرف عن هذا الصحابي من الثقافة وحب العلم فرخّص له ثم اشتهر بين الصحابة بكتابته ، إذ روى البخاري (ح/١١٣) عن أبي هريرة أنه قال : « ما من أصحاب النبي ﷺ أخذ أكثر حديثاً عنه مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عَمْرٍو ، فإنه كان يكتب ولا أكتب » .

وفي فتح مكة طلب رجل من اليمن يقال له : « أبو شاه » أن تكتب له الخطبة ، فقال عليه الصلاة والسلام : « اكتبوا لأبي شاه » ، وقد علق عبد الله ولد الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، على هذا الحديث قائلاً : ليس يروى في كتابة الحديث شيء أصح من هذا الحديث ، لأن النبي ﷺ أمرهم « اكتبوا لأبي شاه »[2] .

---

(١) انظر ، الصحابة حراس الحديث ، ص/١٦٩ـ ١٨٢ .

(٢) انظر ، الصحابة حراس الحديث ، ص/١٦٩ـ ١٨٢ .

وطلباً للاختصار نكتفي بهذه الدلائل الحديثية ، ونذكر ما كتب بإملائه وأمره عليه الصلاة والسلام ، منها ما وجد في قائم سيفه من صحف ، وما سجل من المعاهدات والمواثيق منذ بدء الهجرة والعهد مع اليهود وصلح الحديبية ، ورسائله إلى الملوك والأمراء[1] في الجزيرة العربية ومصر وبلاد الشام .

وهي وثائق جمعها الدارسون اليوم « ولو جمعنا الصحف التي دونت في زمانه مع الكتب والرسائل التي أرسلها ﷺ إلى الملوك والأمراء والوثائق ، لاجتمع لدينا سفر عظيم كُتب في زمنه ﷺ ، ولا سيما إذا علمنا أن صحيفة عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما اشتملت على ألف حديث ، وأظن أننا لا نكون مبالغين إذا قلنا : إن ما دوّن من الحديث في زمنه ﷺ ، ربما كان أكثر من القرآن ، لو جمع كل ما كتبه أو أرسله ، أو أمر بكتابته ﷺ ، أو أباح كتابته » .

٢ـ التدوين في عهد الصحابة :

لقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم أهمية نشر العلم لدىٰ توسع الرقعة الإسلامية فراحوا يراجعون نصوصهم المكتوبة في العهد النبوي ويدرسون منها التابعين ويجمعون أحاديث أخرىٰ من صحابة آخرين ، من مثل جابر وواثلة بن الأسقع وعبد الله بن عمر ، واشتهرت بعض الصحف وهي :

١ـ الصحيفة الصادقة : لعبد الله بن عمر ، وهي موجودة اليوم في مسند أحمد بن حنبل ، قال : هذه الصادقة فيها ما سمعته من

---

(١) صفحات مشرقة ، منى الطيار ، ص/٥١ .

رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه أحمد »[1] وكان يستخرج هذه الصحيفة وغيرها لما كان يُسأل ويستفتى .

٢ـ **الصحيفة الصحيحة** : وكان قد أملاها أبو هريرة رضي الله عنه على تلميذه وصهره همام بن منبه (ـ ١٠١هـ) وهي مطبوعة اليوم ومحققة .

وثمة روايات تؤكد استحواذ أبي هريرة على صحف كثيرة في بيته وإن كان المرجح أنه بقي أمياً لم يتعلم القراءة والكتابة ، إذ قال للفضيل الضمري بعد أن أراه كتبه في بيته : قد أخبرتك أني إن كنت حدثتك به فهو مكتوب عندي[2] .

٣ـ **صحف ابن عباس** : وقد عرف عنه أنه كان يتخذ ألواحاً يسجل عليها ما يرويه له الصحابي الجليل أبو رافع ، وكان يحمل هذه الألواح معه ، ويطلب من مولاه كُريب بن أبي سليم (ـ ٩٨هـ) الكتابة منها وإرسال المكتوب إلى من يطلبه . وظلت هذه الألواح والصحف مع كُريب ينشرها للتابعين بعد وفاة ابن عباس رضوان الله عليه .

٤ـ **صحيفة جابر** : دون جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما صحيفة ، فيها ما كان يسمعه من كبار الصحابة ، وكان يُملي منها على طلابه في مسجد المدينة المنورة وغيرها حتى اشتهرت عند التابعين وهي ليست صفحة واحدة إذ اشتملت على ما يزيد على الألف من الأحاديث في مناسك الحج وغيرها وأطول هذه الأحاديث حديث حجة الوداع ، كما ذكر الإمام مسلم ، وهي أحاديث منثورة اليوم في الصحاح والسنن التي بين أيدينا .

---

(١) طبقات ابن سعد : ٧/ ١٨٧ .

(٢) جامع بيان العلم : ١/ ٨٩ .

٥ـ **صحيفة عمرو بن حزم** : وكانت قد اشتهرت ونسخت كثيراً عند رجال الحديث والفقه ، وكان قد استعمله النبي عليه الصلاة والسلام على نجران باليمن ، وكتب له هذه الأحاديث في أحكام الطهارة والصلاة والغنائم والصدقة والجراح والميراث والديات وغير هذا . وقد أصدر الخليفة عمر بن عبد العزيز بلاغاً يفي بأن المعاملات لا ينبغي أن تعالج إلا في ضوء صحيفة عمرو ، ولشدة إعجابه بها طلب من محمد بن عبد الرحمن أن ينسخ نسخة له . وقد حظيت صحيفته بقبول وتوقير عند أئمة الفقه الأربعة .

٦ـ **صحف أنس بن مالك** : كان كاتباً منذ العاشرة من عمره ، وثمة صحف دونها في العهد النبوي ، يقول هبيرة بن عبد الرحمن أحد التابعين : (كنا إذا أكثرنا على أنس بن مالك رضي الله عنه ألقىٰ إلينا مخلاة ، فقال : هذه أحاديث كتبتها عن رسول الله ﷺ)[1] .

٧ـ **صحيفة سعد بن عبادة** : كان سعد بن عبادة رضي الله عنه متقناً للكتابة من قبل الإسلام ، فقد حرص على تسجيل الحديث النبوي فيما سمّاه العلماء بالكتاب ، والمقدر أنه مجموعة صحف ضبطت بخيط أو صحف منفردة ، وقد احتفظت عائلته بهذه الصحف إذ روىٰ منها ولده ، وصرح بعض العلماء بأنه كان يمتلك كتباً أخرى[2] ، وهذا يفيد أن الكتابة كثيرة منذ العهد النبوي ، ويكذب خبر الإحراق الذي لم يشمل مثل هذه الصحف المبكرة .

٨ ـ **صحيفة سمرة بن جندب** : وهي مجموعة من الأحاديث النبوية عرف بالصحيفة كما يرى جولدزيهر ، وهي في كتاب أسماه نسخة ،

---

(١) تقييد العلم ، ص٩٥ .

(٢) الأم للشافعي : ٧/ ١١٢ .

وعرف بالرسالة كما عند ابن حجر ، وعرف بالكتاب كما في طبقات ابن سعد ، ولا يبعد أن تكون مجموعة من الصحائف سميت كتاباً ورسالة ، وقد تسلَّم هذه الصحائف ولده سليمان بن جندب والحسن البصري ورويا منها شفاهاً وإملاء .

وللصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كتاب احتفظ به ابنه سليمان وأقسم أنه بخط والده[1] .

ولمعاذ بن جبل رضي الله عنه كتاب[2] يشتمل على أحاديث ، كان قد حمله معه إلى اليمن لما عيّنه النبي ﷺ والياً فيها .

فقال مسلم بن طلحة كما في المسند ٥/٢٢٨ : (كان عندنا كتاب معاذ رضي الله عنه عن النبي ﷺ ، أنه إنما أخذ الصدقة من الحنطة والشعير والزبيب والتمر) .

وهناك صحف أخرى ثبتت أخبارها عند العلماء ، منها ما هو محفوظ مثل صحيفة أبي سلمة نبيط بن شريط الأشجعي الكوفي رضي الله عنه ، وهي محفوظة في دار الكتب الظاهرية ، وتقع في ثلاث عشرة ورقة[3] ، ويجب أن ننبه على أن هذا المحفوظ ليس علماً مكتوماً على الأمة ، فلا شك أنه أحاديث مطبوعة جاءت من طرق أخرىٰ .

ومثلها صحيفة عبد الله بن أبي أوفىٰ رضي الله عنهما ، كان قد ذكرها الإمام البخاري ، وكذلك صحيفة أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه وهي مخطوطة في مكتبة شهيد علي بتركيا .

---

(١) جامع بيان العلم : ١/ ٧٢ .

(٢) حلية الأولياء : ١/ ٢٤٠ ، والأموال لأبي عبيد ، ص/ ٢٧ .

(٣) بحوث في تاريخ السنة ، د . أكرم ضياء العمري ، ص٢٢٤ .

وجاء في مسند الإمام أحمد أنهم وجدوا في كتب عبد الله بن أبي أوفىٰ كتاب سعد بن عبادة : « أن رسول الله ﷺ قضىٰ باليمين مع الشاهد » .

وللصحابي أبي اليسر كعب بن عمرو بن عباد السلمي رضي الله عنه (ـ٥٥هـ) صحف ، وذكر العلماء أنه كان يمتلك وعاء ممتلئاً بالأحاديث .

ولأبي رافع[1] الذي كان يزوره عبد الله بن عباس رضي الله عنهم ، كتاب فيه استفتاح الصلاة ، وقال بعد دفعه الكتاب : كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة كبّر ، فقال : وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين » .

وكان لمحمد بن سلمة رضي الله عنه الذي شهد خلافَتَيْ أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، كانت له صحيفة وضعها في غمد سيفه وفيها : (بسم الله الرحمن الرحيم سمعت النبي ﷺ يقول : « إن لربكم في بقية دهركم نفحات ، فتعرضوا لها ، لعل دعوة أن توافق رحمة ، يسعد بها صاحبها ، سعادة لا يضر بعدها أبداً »[2] .

٣ـ التدوين في عصر التابعين :

وهو عصر التدوين الجماعي الرسمي ، وقبل التدوين الرسمي لا بد من الكلام على الجمع الفردي الذي قام به التابعون ، ونظن أن صحفهم أكبر من صحف الصحابة ، لكثرة الرواية وكثرة سماعهم عن الصحابة ولشيوع الكتابة في عصر التابعين .

وجدّت أحداث جعلت التابعين يكتبون الحديث ، منها توسع رقعة البلاد الإسلامية وكثرة حاجة المقبلين على الإسلام إلى معرفة دينهم

---

(١) المحدث الفاصل للرامهرمزي ، ص/ ٤٩٧ .

(٢) الكفاية ، ص/ ٣٣١ ، وسير الأعلام : ٢/ ١٢٦ .

الجديد وتشريعاته ، ولهذا أدرك التابعون أن التدوين أمر إلهي ، وأن الحديث النبوي منهاج الحياة وتاريخ البشرية .

قال الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله : « إن دراسة تاريخ تدوين الحديث تدل دلالة واضحة على أن ذلك لم يكن مصادفة أو بدعة أحدثها الناس في العصور الأخيرة ، إن عناية الصحابة بكتابة الحديث على العهد النبوي وتقييد عدد وجيه من الحديث ، ثم عناية التابعين منذ أواخر عهد الصحابة بالذات بتدوين الحديث وترتيبه ، إن ذلك دليل واضح على أن الله تعالى كان يريد ـ كجمع القرآن ـ صيانة صحيفة هذه الحياة »[1] .

ويتزامن سبب تلهف الناس إلى معرفة التشريع مع ظهور الكذابين من أبناء الأمم الأخرى ممن تظاهر بالإسلام وأخفى كفراً وضغينة وشهوة إلى خراب الدولة الإسلامية . فكان التدوين للبناء والدفاع ، هذا يذكرنا بقول الإمام ابن شهاب الزهري : « لولا أحاديث تأتينا من قبل المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثاً ولا أذنت في كتابته »[2] ويريد بالمشرق العراق حيث بقايا المجوس الذين يطعنون بالإسلام . فهذا ما « أثار حفيظة طلاب السنة من التابعين على سماعها من الصحابة وإثباتها مدونة ليدرؤوا عنها الزيف والتحريف . واقتنعوا بضرورة تدوين السنة لحفظ دين الله »[3] .

وقد ورد أن الإمام قتادة السدوسي سئل عن كتابة الحديث ، فاستدل بقوله تعالى : ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه : ٥٢] وأخبر سائله أن تقييد العلم بالكتابة شأن اللطيف الخبير الذي لا يشغله

---

(١) نظرات في الحديث ص/ ٣٢ .

(٢) تقييد العلم ص/ ١٠٨ .

(٣) وفيات الأعيان : ٣/ ٤٦٦ .

شأن عن شأن ، فالإنسان أولى بحفظ السطور .

نذكر من التابعين إمام القراءة أبا عمرو بن العلاء (١٥٤هـ) الذي وصلت كتبه إلى سقف الغرفة في بيته في علوم متعددة ، لأن ثقافتهم كانت متعددة الجوانب .

ونذكر من أعلام القرن الأول أبا قلابة (ـ ١٠٤هـ) التابعي الجليل حيث مات بالشام وكان قد أوصى بكتبه لأبي أيوب السختياني (١٣١ ـ هـ) المحدث المعروف ، فجيء بها في عدل راحلة[1] ، أي حمل جمل من صحف في الأحاديث النبوية ، وقدّرها العلامة مناظر الكيلاني (١٩٥٦م) بوزن مئة وخمسين كيلو غراماً .

وهكاذ كانوا يدعون إلى الكتابة وينصحون بها من كان سيىء الحفظ ، وراحوا يرددون الحديث النبوي : « قيدوا العلم بالكتاب » ويطلعون طلاب العلم على مكتباتهم ، فكان مجاهد بن جبر (ـ ١٠٣هـ) تلميذ ابن عباس رضي الله عنه ، يصعد بالناس إلى غرفته ، فيخرج إليهم كتبه .

ومن الأعلام الذين دونوا في هذا العصر عبد الملك بن عبد العزيز المعروف بابن جريج (ـ ١٥٠هـ) ومحمد بن إسحاق (ـ ١٥١هـ) في مكة ، ومعمر بن راشد اليمني (ـ ١٥٣هـ) ، وسعيد بن أبي عروبة المدني (ـ ١٥٦هـ) ، وربيع بن صبيح (ـ ١٦٠هـ) ، وحماد بن سلمة (ـ ١٦٧هـ) بالبصرة ، وسفيان الثوري (ـ ١٦١هـ) في الكوفة ، ومالك بن أنس ، والليث بن سعد (ـ ١٧٥هـ) والأوزاعي عبد الرحمن بن عمر في الشام ، وهشام بن بشير (ـ ١٨٣هـ) في واسط ، وجرير بن عبد الحميد (ـ ١٨٨هـ) في الري ، وعبد الله بن

---

(١) تذكرة الحفاظ : ١/ ٨٨ ، وتدوين الحديث ، مناظر الكيلاني ص/ ١٨٩ .

المبارك (ـ ١٨١هـ) في خراسان ، وعبد بن وهب (ـ ١٩٧هـ) في مصر .

كما جاء عن الإمام الشهيد سعيد بن جبير (ـ ٩٥هـ) « كنت أسير بين ابن عمر وابن عباس ، فكنت أسمع الحديث منهما ، فأكتبه على واسطة الرحل حتى أنزل فاكتبه » .

وفي رواية[١] أنه طلب كتابة الأحاديث التي عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية (ـ ٩٨هـ) وهي فقيهة عالمة بالحديث صحبت عائشة رضي الله عنها ، وكذلك أحاديث القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (ـ ١٠٧هـ) أحد الفقهاء السبعة في المدينة .

وعلى رأس هؤلاء الكتبة المباركين الإمام ابن شهاب الزهري[٢] فقد كان أشهرهم وأكثرهم إذ كان يقول : « إذا سمعتم شيئاً مني فاكتبوه ولو في حائط » .

إذ لبى نداء الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فجمع له الكثير ويبدو أن الخليفة قد استنسخ مكتوباته وأرسل إلى كل أرض دفتراً .

وجاء في خبر التدوين الرسمي ما رواه البخاري أن الخليفة عمر أرسل إلى أبي بكر بن حزم أمير المدينة المنورة قائلاً : انظر إلى ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺو ولتفشوا العلم ، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً » .

وثمة أخبار تذكر أن والده عبد العزيز[٣] بن مروان (ـ ٨٥ هـ) أمير

---

(١) كتابة الحديث بأقلام الصحابة ، ص٢١ .
(٢) تقييد العلم ص/ ١٠٠ .
(٣) تهذيب التهذيب ؛ ٤٣٨/١٢ .

مصر قد سبقه إلى هذا الصنيع الجليل ، إذ جمع أحاديث أبي هريرة رضي الله عنه في مدوَّنة ثم طلب من التابعي المحدث كثير بن مرة الحضرمي الذي أدرك جمعاً من الصحابة طلب منه أن يكتب إليه ما سمع من الحديث النبوي .

وخصوصية المدينة المنورة في موقعها اللازم لأنها كانت موطن كثير من الصحابة ، وكانت أكبر مدرسة في الحديث حينذاك ، ولذلك نرجح أن الخليفة طلب من أمير المدينة ومن الأمصار الأخرى التي لا تخلو من أئمة الحديث ، فالخبر السابق لا يعارض ما جاء عند الدارمي : ١/ ٢٦ من أنه كتب إلى الآفاق : « انظروا إلى حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه » .

والمرجح أن الأئمة قد جمعوا الأحاديث ودونوها وفق الموضوعات ، ثم تطور هذا فيما بعد إلى التبويب بحسب الفقه في مرحلة التصنيف ، كما نرجح أن يكون معظم ما كتبوه حينذاك قاصراً على الأحكام ، فهذا ما تُعنى به الدولة أكثر من غيره .

٤ـ التدوين في القرن الثالث :

وقد امتازت فترة أتباع التابعين على رأس المئتين بتأليف المسانيد التي لا تخلو من فتاوى الصحابة التابعين ولا يقتصر الموطأ مثلاً على الأقوال النبوية بل فيه ما يُسند إلى الصحابة والتابعين .

وقد امتاز القرن الثالث بالازدهار والتنوع ، فكانت المصنفات بحسب المسانيد ومعاجم الشيوخ والجوامع وأبواب الفقه ، مما سهل على الفقهاء استنباط الأحكام ، ولا نريد أن نتوسع هنا بل نترك هذا إلى فقرة المصنفات في الحديث النبوي .

* * *